

# سلاماً أو حرباً

## إسرائيل تتحصّن الطريق «الطويل» إلى الجليل

تحقيق

وتفصيلها، علماً بأن نجاح هذه الخطوة يمثل أهمية قصوى للبنان، لأنها تسحب عنصر توتر أساسياً من منطقة جرود عرسال وتقلل جرحاً دامياً مفتوحاً منذ سنوات، أدى بفعل الاشتباكات مع الجيش أو العمليات الإرهابية والانتحارية إلى سقوط عدد كبير من الشهداء والجرحى، إضافة إلى العسكريين المخطوفين.

لكن، بحسب المعلومات، لا يمكن التفاؤل بقرب انتهاء هذه المفاوضات، مع الأثمان التي يمكن أن يطالب بها المسلحون مقابل انسحابهم، علماً بأن اتفاق مضاي و الزبداني والفوعة وكفريا استلزم أشهراً من المفاوضات الشاقة التي كانت تتعثر حيناً وتقدم أحياناً، بحسب تطورات الأوضاع الميدانية ومنحى المفاوضات الإقليمية. في المقابل، تؤكد المعلومات أن فشل هذه المفاوضات لن يكون من دون تبعات، لأن هناك قراراً سورياً بفتح معركة عسكرية ضد المسلحين المنتشرين في المنطقة الحدودية من الجانب السوري. إذ لا يمكن ترك هذه البقعة الجردية وحدها خارج سيطرة النظام، في حين تبقى الحدود الجنوبية السورية - اللبنانية - الإسرائيلية (مثلت القنيطرة - العرقوب - الجولان المحتل) موضوعة في خانة إقليمية مختلفة بإطارها وتدابيرها.

وهنا تكمن المشكلة، لأن فتح أي معركة عسكرية من الجانب السوري سينعكس حكماً على لبنان، والجيش اللبناني لن يقف متفرجاً بطبيعة الحال إذا حاول المسلحون الارتداد إلى الداخل اللبناني وسيتصدى لأي محاولة هروب لهؤلاء إلى لبنان، الأمر الذي سيضع المسلحين بين فكي كماشة: الجيش السوري من جهة ومعه حزب الله، والجيش اللبناني من جهة أخرى، من دون أن ننسى تداعيات المعركة أو المفاوضات على وضع مخيمات النازحين السوريين في المنطقة.

ومن الطبيعي أن يكون توقبت المعركة مرتبباً أيضاً بالظروف السياسية والمفاوضات التي تسير على أكثر من خط، الأمر الذي يجعل الجيش اللبناني في حالة جهوية لأي استحقاق عسكري قد يواجهه،

إيران وحزب الله وعدم شرعيتها». وشتت هالي هجوماً عنيفاً على حزب الله مستخدماً أدبيات إسرائيلية واضحة، فاعتبرت أن هذه «المنظمة الإرهابية في لبنان تستخدم البلديات لإخفاء عشرات الآلاف الصواريخ غير الشرعية؛ وفي سوريا يسيطر الحزب على مناطق، ويقاوم، بأمر من إيران، إلى جانب الجنود السوريين ويذبح الشعب السوري. وأحياناً هو الذي يعطي أوامر للجنود السوريين. لقد ساعد الحزب (الرئيس) الأسد على تجويع حلب وتدميرها».

وأردفت هالي أن حزب الله «منظمة إرهابية يتوسع تأثيرها على امتداد الشرق الأوسط بدعم من إيران التي تستخدمه لتوسيع طموحاتها الإقليمية، إنهما يعملان سوياً من أجل نشر إيديولوجيا متطرفة في أرجاء الشرق الأوسط. إن الأنشطة ذات الطبيعة المدمرة بشكل كبير لكل من حزب الله وإيران على امتداد الشرق الأوسط تتطلب منا اهتماماً أكبر. هذه

الأنشطة يجب أن تكون أولوية مجلس الأمن في المنطقة». وشكر السفير الإسرائيلي لدى المنظمة الدولية، داني دانون، الذي شارك في النقاش، الولايات المتحدة على «موقفها الأخلاقي وإصرارها على مناقشة الأسباب الحقيقية لانعدام الاستقرار في المنطقة». وتناغم مع نظيرته الأميركية في الهجوم على أداء مجلس الأمن معتبراً أنه خلال الـ 17 عاماً الماضية جرى هنا اتهام إسرائيل التي وصفها بأنها «شريك في مكافحة الإرهاب ومناورة أمل، فيما إيران تتسبب بالفظائع في سوريا يومياً، وقد رأينا النتائج القاسية في الهجوم الكيميائي». ورأى دانون أن إيران «هي التهديد الأكثر جدية ضد إسرائيل وتريد تدميرها، وتهدد استقرار المنطقة، ليس فقط بواسطة مبعوثيها، وإنما أيضاً بشكل مباشر من خلال دعم الإرهاب وتنفيذ تجارب صاروخية خلافاً لقرارات مجلس الأمن».

(الأخبار)

في ما يعرف بمنطقة الـ «1701». وفي محيط الناقورة تحديداً تجوّه جيش من الصحافيين، أمس، للمرة الأولى، قرب السياج الحدودي الشائك الذي يفصل لبنان عن الأراضي المحتلة، هكذا، تعرف المشاركون في الجولة، عن قرب، إلى التحصينات التي شيدها الإسرائيليون تحسباً لهجمات المقاومة على الجليل في أي حرب مقبلة

فيها رجل من هذا الموقع، أو فلنقل يحمل صفة عسكرية لا سياسية، ويتحدث إلى الإعلاميين، في الجنوب، طبعاً كان الحديث موجهاً إلى الإعلاميين، ولكنه موجه إلى الإسرائيليين. هذا افتراض أول، الإسرائيليون الذين يستطيعون، أصلاً، الاستماع إلى كل شيء من خلف تحصيناتهم، عبر أجهزة التنصت والمراقبة المتطورة. في موقع «جل العلام»، فوق الناقورة وفوق البحر، شاهد الجميع على التلفزيون صوراً حية لـ «الطائرات» العملاقة المثبتة على أبراج، والمخصصة لغايات أمنية تتعلق بالتجسس. وقبل أسبوعين تقريباً عرض تلفزيون «المنار» صوراً للتحصينات، لكن صوت «المنار» ليس مرتفعاً بما يكفي، ولا يمكنه غالباً تجاوز بيئة حزب الله، وبطبيعة الحال الصوت الذي يرصده ويستمع إليه الجانب الإسرائيلي بجدية. وإن كان الهدف من أحضان كمية كبيرة من الصحافيين إلى الجنوب، والحديث عن حرب قد تضع إسرائيل في موقع الدفاع، هو توجيه رسالة، فإن رسالة مثل هذه تلقاها الإسرائيليون قطعاً ومنذ وقت بعيد.

الافتراض بأن الحزب يرفع سقف الخطاب مع الإسرائيليين لكي يخفصوا سقهم أمر وارد، ولكن لا بد أن تكون هذه الرسالة موجهة إلى آخرين أيضاً. هذا افتراض ثان. وجود مسؤول عسكري من الحزب «على الهواء»، إضافة إلى

مقاتلين في الطريق من الناقورة إلى علما الشعب، ليس حدثاً اعتباطياً، لأنه يشكل في رمزيته قطيعة ظرفية مع تقليد قديم، يقوم على رفض الحزب عرض أي تفاصيل عسكرية متعلقة بإدارة المعركة جنوباً، وتحديداً من الناحية الإعلامية. وفيما بدت التحصينات بالنسبة لكثير من المشاركين في التغطية أو بالمتابعة، غير جذيرة بالأهتمام، فاعتبروا أن الحدث قضايا على حجم التغطية، يبدو أن الجميع ابتلع «الطعم»، الطعم، الذي كلف الحزب إشراك الإعلام في «جزء طفيف» من صورة عمله العسكري جنوباً، وهو ما ليس محبباً بالنسبة لقادته العسكريين، أو على الأقل، ليس سائداً ولا متعارفاً عليه لدى متابعيه. لقد حرص منظمو اللقاء، خلف السياج الشائك، وعلى مقربة من «نقطة صفر» على أن لا يواجه الصحافيون أي أسئلة «سياسية» إلى المسؤول العسكري الذي قدم شروحات هامة عن طبيعة المنطقة وظروفها العسكرية، وإن كانت شروحات لا تصل إلى مصاف الأسرار. حرصوا على إعادة صورة الحزب إلى الإطار الذي أخرج منه اعلامياً في السنوات الأخيرة. صحيح أن الحزب لم يغادر جنوب لبنان وأن هذا ما زال معقله، لكن صورته غادرت المكان وارتبطت بإمكانة أخرى. وما حدث أمس كان في سياق إعادة الصورة إلى مكانها، على الطريق، تحصينات معادية، ومقاتلون لحزب الله يظهرون للمرة الأولى، وشبح «حرب باردة»، حرب تخيم فوق منحدرات علما الشعب، وتنزل بهدوء إلى شواطئ الناقورة، وما خلفها من جليل ينقسم بين أرضين.

الجال، ونحن العاديين لا نفهم فيها، كل ما نعرفه أنها عسكرية وأنها ضئلا. يشرح قائد عسكري من حزب الله للصحافيين، من أمام مستعمرة «شلومي». الجنود في الخلف يتبعون «قيادة اللواء الغربي»، وتالياً، لقيادة المنطقة الشمالية في الجيش الإسرائيلي. يردد المسؤول في حزب الله تفاصيل للحاضرين... «يوال» لا يتحمسون كثيراً، جيل جديد من الصحافيين الذين ينصرفون كما لو أنهم في كرنفال. يتحدثون جميعاً في الوقت نفسه، حتى عندما يعزفهم إلى أسماء الفرق الإسرائيلية، فرقة الجليل، وغولاني، وعندما يخبرهم أن كل فرقة تنقسم إلى لواء ينقسم إلى كتائب. ثم فجأة، يستمعون باهتمام، رغم أنه، وبوضوح تام، يبدو أنهم لا يفهمون كثيراً في التفاصيل العسكرية التي يتحدث عنها، و«سوء الفهم» يشمل «النجوم» الذين يقفزون من شاشة إلى شاشة، المحللون المفوهون الذين تكبدوا عناء الصعود إلى آخر الحدود، لاصطياد الكاميرات، على الفضائيات، واطلاق التحليلات «من خارج الموضوع». ولكن الضابط في الحزب تابع عمله، ولم يكتف كثيراً لما يقوله المحللون. أكمل عرضه بهدوء، هناك كتيبة في زرعيت، وأخرى في أقيقيم. زرعيت قرب عيتا الشعب، وأقيقيم التي تواجه مارون الراس، حيث حاول الإسرائيليون الدخول في 2006. وحسب ما يقوله المسؤول العسكري، فإن الإسرائيليون يفترضون أن الحزب هو الذي ينوي الدخول إلى الجليل، وما هم يتحصنون في شلومي.

من ناحية الموقع الجغرافي، يشكل جبل عامل الثلث الجنوبي من لبنان، ويمتد من نهر الأولي شمالاً، ووادي القرن جنوباً، حيث يقع البحر المتوسط بين هذين الحدين غرباً، أما من الشرق فتحده بحيرة الحولة ووادي التيم والبقاع. كذلك، ينقسم الجبل إلى قسمين، جنوبي وشمال، يفصل الليطاني بينهما. ومن الناحية العسكرية، الإسرائيليون يتحصنون على طول الحدود، وهذا ليس خافياً على أحد، وإن كانت التحصينات الإسرائيلية ليست استثنائية من الناحية البصرية. أي أن جيش الصحافيين الذي أخذ إلى ما بعد الناقورة أمس، لم يكن باستطاعته فهم طبيعة التحصينات، لولا الشرح الذي قام به المسؤول العسكري، الحدث، هو أن هذه هي المرة الأولى، التي يظهر

شرح ضابط مقاومة تفاصيل دقيقة عن تركيبة الجيش الإسرائيلي (هيلم الموسوي)



### أحمد محسن

نحن الآن في منطقة الـ «1701». ممنوع دخول المدنيين. البحر قطعة زرقاء ناصعة كالسما، والناقورة قطعة ناقصة من البحر. الأرض للأشجار والأحراش. الجبال التي لا نعرف ما الذي تخبئه. الجبال نفسها التي ترمي معاطفها من القوائد القديمة وتخبي المقاتلين. خلف الموقع المعادي يستريح البحر. وهناك نهاريما والكيوتنسات. أرض الفلسطينيين. وتاريخ الهاغانا. وبعد كل شيء حيفا. وما بعد حيفا، صارت «الزامة»، تتكرر أحياناً للمزاج، وأحياناً بجدية، ومن خلف السياج، صحافيون لبنانيون، وأجانب يستشرفون. وهناك جندي من الكتيبة الإيطالية يشبه المكان. يشبه الأرياف بشكل عام. يقول إنه من صقلية، لا من ميلانو. من صقلية يعني أنه من البحر. لكنه شجع يوفنتوس أمس، ضد برشلونه. نعترض، من باب المزاج، فتورينو في الشمال، وصقلية في الجنوب. وفي إيطاليا العلاقة «شائكة» بين الشمال والجنوب. يوافق ضاحكاً، ولكن «كلنا إيطاليون»، يقول.

خلف الجبل يمتد الجليل. تاريخياً تسمى المنطقة بالجليل. كثيرون يستخدمون التسمية ولا يعرفون جذورها ولا أصولها. وجبل الجليل، بالعبرية، يعني «الدائرة»، والأصح «الدارة»، أي المكان الدائري. وإذا نتحدث عن جولة «محدودة» على أطراف جبل عامل، للتعرف إلى «عينة» من تحصينات معادية (أقامها جيش الاحتلال داخل الأراضي الفلسطينية) تمتد من «الناقورة إلى شبع»، فلا ضير من بعض الإشارات الجغرافية. الجليل الدائري ينقسم إلى شطرين. الجليل الأعلى، وهو يشكل الجزء الأكبر، مما يطلق عليه سكان الجنوب تسمية «جبل عامل». اسم الجليل يرد في «العهد الجديد»، وأهله يعرفونه بالاسم الجديد. يفضلون مفردة «عامل»، وهو ما يتشكل من «الجليل الأعلى» ومن الشقيف. التحصينات في كل مكان، والاستعدادات الحربية متنوعة. السياج الشائك الذي تعرفونه. الفاصل بين أوصال الجليل. البلوكات الاسمنتية، التي للمفارقة، تنتشر في مدننا المفرطة في الكابة. الأنفاق التي يتراوح عمقها بين 8 و15 متراً، لإعاقة تقدم «مهاجمين محتملين» (من لبنان إلى فلسطين). وهناك تحصينات ورادرات وأشياء لا تخبر في